قراءة في حقوق المــرأة السياسيــة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أ.د/ سليمان قـوراري

أستـاذ التعليم العالي بكلية الآداب لجامعة أدرار

slimane.gourari@yahoo.fr

ملخـص:

لقد تباينت وضعية المرأة وحقوقها السياسية عبر مختلف الحضارات التي تعاقبت على سطح الكوكب الأرض بين وضع سيّء وأسوأ ووضع جيّد وأجود، وذلك تبعا لوضعية العادات والتقاليد وسطوة تحكم الدين ورجاله في العقليات والذهنيات، وتبعا أيضا لتوجهات السلطات السياسية ومدى انفتاحها أو انغلاقها اتجاه مختلف قضايا المرأة.

إن الإسلام بدأ ثورته اتجاه الأفكار البالية والمتخلفة اتجاه تحرير المرأة من مختلف الضغوط والإكراهات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت سائدة ومكرّسة على أكثر من صعيد، ولكنها لم تنته بوفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وإنما هي مستمرة باستمرار نمو الوعي بالحقوق والحريات ومستمرة باستمرار تطور المجتمعات الحضاري وانفتاحها على مختلف التجارب الإنسانية، وهذا ما يستدعي ضرورة تحريك وتنشيط آلية الاجتهاد لمواكبة التطورات الحضارية والتغيّرات الاجتماعية التي مسّت الأمم المعاصرة.

الكلمات المفتاحية:

الاجتهاد – المرأة – السياسة – الحضارة – التحرير

تاريخ الإيداع: 2018/03/29 **تاريخ النشر:** 2019/12/10

مجلة معابر ISSN : 2676-2064 المجلد 5 العدد 1 ديسمبر 2019

Lecture des droits politiques de la femme dans le Coran et la Sainte Sunna

Gourari Slimane
Professeur à la Faculté des Lettres de l'Université d'Adrar
slimane.gourari@yahoo.fr

Résumé :

La situation de la femme et son implication dans la vie politique varient d'une civilisation à une autre, positivement ou négativement. Cela bien entendu selon les coutumes et usages, l'emprise de la religion et de ses hommes sur les mentalités, mais aussi par rapport aux inclinaisons de la classe dirigeante et à son degré d'ouverture ou d'enfermement à l'égard de la femme.

L'Islam a marqué une révolution contre les idées patriarcales afin de libérer la femme des différentes contraintes sociales, politiques et culturelles existants à son époque. Cette révolution ne devait pas prendre fin avec le décès du Prophète, mais continuer nourrie par une prise de conscience grandissante des droits et des libertés de l'individu, de paire avec l'évolution des sociétés et leur ouverture sur les différentes expériences humaines. Ceci implique bien évidemment l'usage de l'idjtihad pour suivre l'évolution de la civilisation et les mutations sociales qui touchent les nations contemporaines

Mots clés :

Idjtihad – Femme – Politique – Civilisation – Libération

Reading the political rights of women in the Qur'an and the Holy Sunnah

Gourari Slimane
Professor at the Faculty of Letters at Adrar University
slimane.gourari@yahoo.fr

Summary :

The situation of women and their involvement in politics varies from one civilization to another, positively or negatively. This of course according to the customs and usages, the influence of religion and his men on mentalities, but also in relation to the inclinations of the ruling class and its degree of openness or confinement to the wife.

Islam marked a revolution against patriarchal ideas to free women from the various social, political and cultural constraints that existed in their time. This revolution should not end with the death of the Prophet, but continue nourished by a growing awareness of the rights and freedoms of the individual, along with the evolution of societies and their openness to different human experiences. This obviously involves the use of idjtihad to follow the evolution of civilization and the social changes affecting contemporary nations.

Keywords :

Idjtihad – Woman – Politics – Civilization – Liberation

في العالم المعاصر اليوم نظرتان متباينتان تتجاذبان النظر إلى المرأة ومدى أهليتها لتولّي مناصب القيادة والريادة والمسؤولية ورئاسة الأمة: **نظرة الإسلام التراثي، ونظرة الإسلام العقلاني الحداثي.**

أولا: نظرة الإسلام التراثي وأصحابه

يعيشون في برج التراث لا يبرحونه ولا يغادرونه اللهم إلا قليلا وسرعان ما تراهم يهرعون إليه من الخوف ينظرون إلى الحركات التجديدية من طرف خفي، يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات الحق ويؤولونها خلاف ما تعلموه وعلموه وخلاف ما شبّوا عليه. حيث إنهم جامدون على حرفية النصوص ، ينتزعونها من سياقاتها وملابساتها التي قيلت حولها كما في حديث لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة الذي سيرد في موضعه إن شاء الله تعالى، وهم لا يؤمنون بفاعلية العقل السليم المشبّع بروح ومقاصد القرآن الكريم، وقدرته على التمحيص والنقد والمقارنة لتمييز الصحيح من السقيم من المرويات المنسوبة للرسول الكريم زورا وبهتانا.

ومعالجة موضوع المرأة وحقوقها السياسية من الموضوعات الشائكة، حيث إن جملة من الذين عالجوها رأوا فيها شيئا من المخاطرة وعالجوها حسب زوايا نظرهم بحذر شديد وحنكة وسياسة، لاسيما وأن النظرة التقليدية المؤطرة بالبعد الديني الشعبوي لا زالت ترى بأن وظيفة المرأة الحقيقية هي في البيت عكس الرجل، وما دام أن السياسة وما يتعلق بها من الأمور الخارجة عن محيط البيت والأسرة فهي بالتالي من اختصاص عالم الرجال[1] (د/ صبحي محمصاني1982م).

وفي الحقيقة فإن هذه النظرة قاصرة ومصادمة للسنن الكونية والاجتماعية والحضارية ذلك لأنه " من النظريات المقررة أنه لا يمكن للشعوب الناهضة أن تنام عن حقوقها. وكذلك الأفراد، حينما يسيرون في مدارج الرقي يطلبون العدل

[1] ينظر، في دروب العدالة،(دراسات في الشريعة والقانون والعلاقات الدولية) د/ صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، كانون الثاني (يناير) 1982م، ص251 وما بعدها.

والمساواة"(د/ صبحي محمصاني1982م) [1]. والمرأة في سعيها الحثيث والمثابر في انتزاعها لحقوقها السياسية كحق الانتخاب وتولي الوظائف السياسية العليا، إنما هي بفعلها هذا منسجمة تمام الانسجام مع حقوق الإنسان المشروعة وحقه في العدل والمساواة، تلك المبادئ السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وكرستها المواثيق الدولية، وإن حاولت أن تحجبها القوى المتعصبة والأفكار المتحجرة. ولعل من بين الأسباب التي أدت إلى تبلور الفكرة الدونية حول ممارسة المرأة لحقوقها السياسية تلك المرويات المكرّسة في الثقافة العربية حول التحذير من سماع أو مشاورة المرأة أو الاكتراث لآرائها كيفما كانت وقصة كسرى مع زوجته شيرين في شأن صياد السمكة وجائزته الكبيرة ومطاوعته إياها هي التي دفعته في النهاية إلى الاستسلام وكتابة هذه المقولة في الديوان الملكي" «إن الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم»(الجاحظ ت255هـ)[2].

وقد عاب (أ.د/ جابر عصفور2008م) هذا المنحى التراثي في التعامل مع المرأة واعتبار الذكر أكمل وأفضل من الأنثى، وبالتالي الوصول إلى هذا الاستنتاج الهابط المدوّن في بعض أقوال التراثيين وهو أن الأفضل الأكمل (أي الذكر) مقدّم على الأخس الأرذل (الأنثى)، كما شجب تلك الأقوال التراثية الباطلة التي تعتبر تعلم الأنثى لصنعة الكتابة بمثابة سم قاتل سيصيب الإنسان لا محالة بالشرور التي لا يعرف مداها وهم يصورون المرأة في هذه الحالة بالأفعى الغاوية وهذا في سياق الهيمنة الذكورية[3] ونحن ننزّه هؤلاء الذين تربوا في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم أن ينطقوا بهذا الكلام، ولكن أحيانا وتحت الدوافع السياسية والثقافة الذكورية والنظرة الدونية للمرأة تنسج مثل هذه الأقوال وتعزى لرجال مرموقين

---

[1] المرجع نفسه، ص 255.

[2] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، المحاسن والأضداد.(ضمن المجموعة الكاملة)، ، إعداد، قسم الدراسات في دار نوبليس بإشراف الأستاذ، غسّان شديد، دار نوبليس، بيروت ، الطبعة الأولى 2005م، ج14،ص284.

[3] ينظر، نقد ثقافة التخلف، جابر عصفور، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2008م، ص56 وما بعدها.

حتى تكتسب شرعيتها وهيمنتها وهيبتها، من هنا لابد من قراءة تلك الأقوال في سياقاتها الحضارية للخروج بنظرة موضوعية متزنة، والله أعلم بالصواب.

أهم الأدلة التي يستند إليها أصحاب الفكر السلفي التراثي:

- **من القرآن الكريم:** تلك الآية الكريمة التي ترفع دائما في عدّة مناسبات وهي آية القوامة من سورة النساء. قال الله تعالى : **[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ]**[1] .
- **من السنة الشريفة:** ذلك الحديث الذي يقول فيه أبو بكرة – رضي الله عنه -: قال: لقد نَفَعَني الله بكلمة سمعتُها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أيامَ الجَمل، بَعدَمَا كِدْتُ أَنْ أَلحقَ بأصحاب الجمل فَأُقَاتِلَ معهم، قال: لمَّا بَلَغَ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم- أنَّ أهلَ فَارسَ مَلَّكُوا عليهم بنْتَ كِسرَى، قال: **«لَنْ يُفْلِحَ قَومٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَة»** . هذه رواية البخاري. وفي رواية الترمذي قال: «عَصَمَني الله – عز وجل – بشيء سمعتُه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: لمَّا هَلَكَ كِسْرى قال: «مَن استَخْلَفُوا؟» قالوا: ابنَتَهُ، فقال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم-: **«لَنْ يُفْلِحَ قَومٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرأة»** فَلَمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ – يعني البصرة – ذكرتُ قَولَ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم-، فَعَصَمني اللهُ بِهِ» . وفي رواية النسائي مثل الترمذي إلى قوله: «وَلّوا أمْرَهُم امرأة»[2].

ثانيا: نظرة الإسلام العقلاني الحداثي

ينطلق أرباب هذه النظرة من مبدأ المساواة القرآني والمتوزع على عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.

---

[1] [النساء: 34].

[2] البخاري 13 / 45 و 46 في الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، وفي المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، والترمذي رقم (2263) في الفتن، باب لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة، والنسائي 8 / 227 في القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم، وأخرجه أيضا أحمد في " المسند " 5 / 38 و 43 و 47 و 51. من كتاب: ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري (ت 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ومذيل بحواشي المحقق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط - رحمه الله - ، وأيضا أضيفت تعليقات أيمن صالح شعبان (ط : دار الكتب العلمية) في مواضعها من هذه الطبعة]، طبعة 1390 هـ . 1970 م، ج4، ص 49، 50، متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

- من القرآن الكريم " **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)**] [الحجرات: 13] ومن السنة المطهرة **" النساء شقائق الرجال"**[1].

- **من واقع السيرة النبوية العطرة وحياة الصحابة الأطهار:**

فقد شغلت المرأة منصب المستشار لحاكم الدولة المسلمة الأول، منها ما ورد في تململ بعض الصحابة في المسارعة في الاستجابة لأمر رسول الله لما أمرهم بنحر إبلهم في صلح الحديبية ، وجاء الحل من مستشارته السيدة أم سلمة زوجته النبيهة الحكيمة التي هدته إلى حل حكيم وهو الخروج إلى الناس دون التحدث معهم، والمبادرة شخصيا إلى النحر ثم الحلق وجعلهم أمام الأمر الواقع، فما كان من جموع المسلمين بعد ذلك إلا المبادرة، طاعة لله ورسوله، وما يهمنا من هذه الحادثة التي وقعت في عصر النبوة هو مدى تمتع المرأة بحقوقها السياسية حيث لم تكن المرأة المسلمة مجرد زوجة وربة بيت وأم أطفال فقط بل كانت صاحبة رأي ومشورة، والسيدة أم سلمة نموذج رفيع للمرأة المحبة للعلم والمعرفة فقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث وكانت مصدرا لكثير من أحكام فقه النساء. وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها هي آخر من توفي من زوجات المصطفى الكريم صلوات ربي وسلامه عليه[2].

وفي خروج السيدة عائشة على رأس جيش كبير في معركة الجمل بغية الاقتصاص من قتلة الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه[3]، كما يظهر ذلك من خلال محاورتها لمبعوث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ض) حيث قال لها القعقاع لما قدم البصرة" أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح

---

[1] حديث حسن لغيره . ينظر، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون
إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، ج43، ص265،متاح في المكتبة الشاملة،www.shamela.ws.

[2] ينظر، "أم سلمة وصلح الحديبية" جريدة النبأ الكويتية (يومية سياسية شاملة)، رئيس تحريرها: يوسف خالد يوسف المرزوق، تاريخ الإضافة، 2014/07/5، http://www.alanba.comتاريخ الزيارة الأربعاء 19 من جمادى الآخر 1439هـ/ 2018/03/07 العدد 15120.

[3] حقائق حول معركة الجمل، الفتوى رقم 10605، تاريخ الإضافة، الأربعاء 16 رجب 1422 - 3-10-2001، http://www.islamweb.net، تاريخ الزيارة 2018/03/07 الساعة 19:17.

بين الناس"[1]. ما يوضّح تمتع المرأة بحق قيادة الجيش وتولّي أعلى الرتب فيه، مما يجعلنا نعتقد أن المجتمع الإسلامي آنذاك كان أكثر حداثة منه اليوم ، وإن كنا نختلف في شرعية خروج السيدة عائشة لمعركة الجمل ولكن لا راد لقضاء الله، ولو أنها أدركت ما كان يخبّئه الغيب لما فعلت ذلك، ولكن أنّى لها أو لغيرها ذلك. أما عن مشاركة المرأة في الجهاد في سبيل الله فنماذجه الشرعية كثيرة من بينها ما ورد عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ؛ من اتخاذ السيدة أمّ سُليم يَوْمَ حُنَيْنٍ، خنجرا في حالة ما إذا اقترب منها أحد مِنَ الْكُفَّارِ62بع جبه بَطْنَهُ، وقد رضي المصطفى الكريم عن فعلها وشجاعتها"[2] (محمد خليل محمود 1413هـ/1993م).

وكذلك حق المرأة في ممارسة حق المعارضة وإبداء آرائها بكل حرية ومسؤولية وقصة عمر بن الخطاب مع تلك المرأة التي انتقدته في الإجراء الذي كان يعتزم القيام به بتسقيف الحد الأعلى للمهور حيث قَالَتْ له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدُقَاتِهِمْ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: **[وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا]**[النساء: 20]. فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرًا، كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ. "[3] (الهيثمي ت 807هـ).

ومن دلائل مشاركة المرأة في الحياة السياسية ما ورد من إجارة السيدة أم هانئ لبعض اللاجئين لبيتها طلبا للحماية، وإقرار الرسول لهذا الصنيع، قائلا لها

---

[1] كحّالة عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (دون تاريخ)، ج3، ص70.

[2] خليل محمود محمد، المسند الجامع، (تحقيق وترتيب وضبط للنصوص) : ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 22 (20 جزء ومجلدان فهارس)، المسند الجامع ج2، ص 338.متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

[3] رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَقَدْ وُثِّقَ، الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ)،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، ج4، ص283.متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

كما جاء في كنز العمال " قد آجرنا من أجرت يا أم هانئ وآمنا من آمنت"[1] (المتقي الهندي ت975هـ). ونماذج نشاط المرأة السياسي في عصر النبوة والخلافة الراشدة متعددة ومتنوعة، لمن يبحث عن تأصيل شرعي لشرعية ممارسة المرأة للعمل السياسي، وإن كنا نحن من وجهة نظرنا لا تمثل هذه القضية إشكالا يقض مضاجعنا ما دام أن النص القرآني الكريم المصدق لما بين يديه من الكتاب والمهيمن عليه قد كفانا مؤنة الجدل العقيم الذي يدور بين المؤيدين للعمل السياسي الممارس من قبل النساء والرافضين له جملة أو تفصيلا على خلاف بينهم، ما دام أن القرآن الكريم توجه بالخطاب التكليفي والأوامر والنواهي للجنسين على حد سواء دون اعتبار لتلك الحواجز والحصون الصلبة التي صنعتها التقاليد والأعراف البالية.

الرأي الراجــح:

بالنظر إلى الأدلة المعروضة من الفريقين، واستنارة بحكمة وهدي كتاب الله تعالى، وما صح من سنة الرسول الأكرم، واحتراما للشروط الحضارية، فإنه لا يسع الباحث وهو ابن بيئته وزمانه إلا أن يتجاوز تلك النظرة التراثية السلفية التي عاشت زمانها وولت وانتهت وانقضت إن شاء الله، لتحل محلها تلك الرؤية الحداثية التي تريد النهوض والرقي بالأمة الإسلامية في مختلف المناحي والمجالات ، ولا يكون ذلك إلا بتصحيح تلك النظرة الدونية لعالم المرأة، وتجاوز تلك النظرة السلفية المؤقتة بزمانها ومرحليتها ولا يمكن أن تنسحب على عالمنا المعاصر اليوم، فمثلا بعض الروايات والآثار التي تجعل من النساء ناقصات عقل ودين أو أنهن كلهن شر وشر ما فيها انه لا بد منها، أو تلك التي تقول اتقوا شرار النساء وكونوا على حذر من خيارهن، فهي كما يقول (أحمد القبانجي 2009م)" مجرد صياغات خبرية تحكي عن أفكار وأجواء وثقافة ذلك الزمان، وقد أوّلت تأويلا فاسدا أو نسبت على الرسول الأكرم وآل بيته الأطهار بغية تشويه رسالة الإسلام الخالدة[2].

---

[1] المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي (ت 975هـ). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ، تحقيق، بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م، ج8، ص403. متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

[2]القبانجي أحمد، المرأة المفاهيم والحقوق قراءة جديدة لقضايا المرأة في الخطاب الديني، الانتشار العربي،الطبعة الأولى 2009م ص209.

إنّ استدلال ذلك الفريق السلفي التراثي بآية القوامة، واتكائهم عليها في حظر تولّي المرأة لمختلف المناصب السياسية والاجتماعية، هو استدلال مردود عليه من طرف الباحث (أحمد القبانجي 2009م)حيث قال "إن هذه الآية ليست صريحة في مقام إنشاء وجعل مثل هذه الولاية والقوامة للرجال على النساء، بل هي قضية خبرية حيث تخبر عن واقع اجتماعي كان الناس يعيشونه في ذلك الزمان وكان فيه الرجال قوامون على النساء سواء في الأسرة أم في المجتمع"[1] ويأتي الباحث (أحمد القبانجي) بمجموعة من الشواهد القرآنية القطعية الثبوت ليؤكد على أنها قرّرت مبدا القوامة لجميع المؤمنين ذكرانا وإناثا وهذه النصوص هي قوله تعالى **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)]** [النساء: 135] وقوله تعالى **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)]**[2] . والحديث النبوي الذي يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" ويستخلص الباحث منها أن خطابها يتسم بالعمومية دون تفريق بين الجنسين، ومن ثم فهو يرى من الواقع المعيش والراهن المعاصر أن تولّي المناصب السياسية والمسؤوليات الكبرى لم تعد مثلما كان عليه الحال في الماضي على قدرة الفرد فقط، وإنما هناك تشكيلة من المستشارين والمعاونين والمتخصصين كل واحد في ميدانه يتآزرون في مساندة المسؤول[3] (القبانجي 2009م)، وتبصيره بكل شاردة أو واردة بحيث غالبا لا تزل به القدم وهذا ما تسير عليه الديمقراطيات الحديثة في تسييرها لدواليب الحكم ولذلك لا نجد عندهم ضيرا في تولي المرأة أعلى المناصب والمسؤوليات في هرم الدولة.

ينظر الإمام (محمد الغزالي 1412هـ/1991م) للتراث التفسيري على أنه ميراث يحتاج للغربلة والتصفية، ولابد فيه من النظر النقدي الفاحص، الذي يحاكم

---

[1] المرجع نفسه، ص198.

[2] [المائدة: 8]

[3] ينظر، القبانجي أحمد، المرجع السابق، ص198 وما بعدها.

مختلف الآراء للكتاب الذي لا ريب فيه تنزيل من رب العالمين، وللحكمة المتجلية في النظر العقلي السليم، قال رحمه الله : " وهناك من يردد أقوالا عن النساء لا تستحق إلا الازدراء !قال أحدهم : السفهاء هم الصبية والنساء قلت له : عمن رويت ذلك ؟ عن عمدة القرية أم شيخ البدو ؟ وزعم كذوب أن المرأة يساق فيها قوله تعالى : " [كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ][1] !قلت : تلك صفة نفر من الناس رجال أو إناث محروم من المواهب عاجز عن العطاء ويخجلني أن هذا الوصف يكاد يطوي جماهير المسلمين في المشارق والمغارب بعدما تخلّوا عن رسالتهم ونسوا كتابهم ، وعاشوا عالة على الحضارات الغالبة ..."[2]ويتهم المدخلي الإمام الغزالي بأنه مقلد للأروبيين ، وأنه داعية متحمس لتولي المرأة المناصب العليا في الدولة ، ويستنكر إشادته لفكتوريا ملكة بريطانيا وتاتشر رئيسة وزراء بريطانيا وجولد مائير رئيسة وزراء دولة اليهود وانديرا الهندوكية رئيسة وزراء الهند وضربه عرض الحائط بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليقول " لو كان ما يقوله الغزالي حقا من أن من حقوق المرأة في الإسلام تولى المناصب لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول منفذ لها ..."[3](المخلي 1990م) ، ويتناسى هذا الشيخ أن قصة ملكة سبأ مذكورة في سورة النمل ، وفيها كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، واستشهاده بنص نبوي بعدم فلاح من تولى أمرهم امرأة[4]، ليس

---

[1] تتمة الآية الكريمة [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] [النحل: 76] .

[2]الغزالي محمد، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق ، القاهرة . الطبعة الثالثة محرم 1412هـ/ يوليو 1991م . ص:36 .

[3] ربيع بن هادي المدخلي، كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1990م، ص: 53.

[4] جاء في صحيح البخاري حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً" : البخاري الجعفي ،محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =.تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).الطبعة: الأولى، 1422هـ . شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ..

حجة له بل عليه ، لأن من شروط فهم وفقه الحديث فهم وإدراك السياق العام ، وملابسات النص الزمانية والمكانية . وقد تولى الغزالي التنبيه على ذلك، بعد أن نبّه أن المعيار الوحيد لتولي المناصب هو الكفاءة بأتم معنى الكلمة وأنه ينبغي عند قراءة أي نص مراعاة السياق العام الذي قيل فيه، تجنبا للزلل والشطط في القراءة، فعلى الرغم من صحة الحديث من ناحيتي السند والمتن، إلا أنه ينبغي فهم معناه في السياق العام الذي كانت تعيشه الدولة الفارسية في زمن رسالة الرسول، إن الدولة الفارسية كانت في أخريات أيامها بسبب الفساد السياسي والمالي والإداري، وزاد الأمر سوءا بتولية فتاة لا تدري شيئا عن الوضع الدولي ولا تفقه شيئا في أمور تسيير الدولة، فجاءت الكلمة النبوية تلخص للمتلقين أن فساد هذه الأمة هو من يكون الدافع لهلاكها وزوالها، وهذه سنة كونية لن تجد لها تبديلا.[1] (الغزالي 1410هـ/1990م) ، ليخلص إلى القول: " ولو أن الأمر في فارس شورى، وكانت المرأة الحاكمة تشبه" جولدا مائير" اليهودية لتي حكمت إسرائيل، واستبقت دفة الشئون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر على الأوضاع القائمة"[2] (الغزالي 1410هـ/1990م).

وعن جدارة المرأة واستحقاقها لتولي اعلى المناصب إذا اثبتت جدارتها واهليتها لذلك قال (أحمد القبانجي)" لقد ثبت في مقولات الفلاسفة (أنّ الوقوع هو

ج6، ص8. وجاء في تعليق [مصطفى البغا]حول بعض مفردات هذا النص قوله:" (أيام الجمل) أي كان إنتفاعي بتلك الكلمة أيام وقعة الجمل التي وقعت بين علي رضي الله عنه ومن معه وعائشة رضي الله عنها ومن معها وسميت بذلك لأن عائشة رضي الله عنها كانت تركب في هودج على جمل كان مرجع الناس ورمز ارتباطهم وحوله كانوا يلتفون وعن التي تركبه يدافعون وإليه الخصم في ضرباتهم يسددون. وكان إنتفاع أبي بكرة رضي الله عنه بتلك الكلمة أن كفته عن الخروج والمشاركة في الفتنة. (لن يفلح) لا يظفرون بالخير ولا يبلغون ما فيه النفع لأمتهم. (ولوا أمرهم امرأة) جعلوا لها ولاية عامة من رئاسة أو وزارة أو إدارة أو قضاء] المرجع نفسه والمجلد نفسه والصفحة نفسها. متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

[1] ينظر، الغزالي محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه .. وأهل الحديث، دار الصديقية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى رجب 1410هـ ـ فبراير 1990م، ، ص56، 57.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص57.

أدل دليل على الإمكان) وقد أثبتت المرأة عمليا جدارتها ولياقتها لتولي الكثير من المناصب المهمة في المجتمعات الراقية"[1]

وقد بين الباحث (حسن حنفي2014م)أنه ينبغي مراعاة السياقات التاريخية التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم نصوصه الشريفة، فالحديث السابق الذكر قال عنه " هو حكم خاص بالفرس وليس حكما عاما للناس جميعا. وهو ما عرفه الأصوليون بالتمييز بين الخاص والعام، وقد عممته الأجيال على العرب بل قصروه عليهم وأصبح يستعمل حديثا في الأدبيات المناهضة للمرأة ومنعها من حقوقها السياسية وتولي قمة السلطة السياسية"[2] من هنا فإنّ الضابط الحقيقي لوزن مختلف الأحاديث هو النص القرآني الكريم، الذي لا يقدم عليه أي نص مهما علت رتبته وسمت مكانته، حتى إن إن سيد البشر قال كما أخبر بذلك الكتاب العزيز[**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**][الأنعام:50] . وقال تعالى[**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**][يونس:15]. وقال تعالى: [**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**][الأحقاف:9]. فلا وجود لتشريع يخالف تشريع القرآن الكريم، ولا تشريع يقدم على تشريع الحكيم العليم، إن الكلمة القرآنية مصاغة بطريقة تتسع لمفاهيم عدة دون قسر أو تطويع، وكأنها بويضة مخصبة تحمل مخلوقات فكرية لا تبدو للناظر أول وهلة، ولا تظهر إلا عندما تتهيأ الظروف، وعندئذ يكتشف الدعاة فيها هذه الصفة الجديدة التي عجز الأولون عن استشرافها"[3] إن الغزالي ينظر لحديث **" خاب قوم ولوا أمرهم امرأة"** على ضوء آيات القرآن الكريم في سورة النمل التي تحدثت عن الحضارة الكبرى التي وصلت إليها الدولة السبئية تحت القيادة الرشيدة لبلقيس،

---

[1] المرأة المفاهيم والحقوق قراءة جديدة لقضايا المرأة في الخطاب الديني، المرجع السابق، ص202.

[2] حنفي، حسن الأعمال الكاملة المجلد الثاني، من النقل إلى العقل، الجزء الثاني علوم الحديث، (من نقد السند إلى نقد المتن)، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، القاهرة، 2014، ج2، ص423.

[3] البنا جمال المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، ، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ص13.

وعلى ضوء الواقع المعيش، وفي هذا الصدد يقول الإمام الغزالي" أما مصائب العرب التي لحقت بهم يوم قادت "جولدا مائير" قومها فحدث ولا حرج، قد نحتاج إلى جيل آخر لمحوها ! إن القصة ليست قصة أنوثة وذكورة ! إنها قصة أخلاق ومواهب نفيسة."[1] (الغزالي 1410هـ/1990م) . وللباحثة (فاطمة المرنيسي1993م) وقفة متأنية مع هذا الحديث والسياق الذي ذكره فيه (أبو بكرة)[2] وأنها استنادا للمعايير العلمية التي وضعها الإمام مالك رحمه الله في التعامل مع الأحاديث فقد استبعدته تماما كدليل على رفض المرأة تولي المناصب السامية في الدولة[3] وينتقل الإمام الغزالي إلى نموذج طالما تحدث عنه بشيء من الحسرة وهو يقارنه بالحكام العرب اتجاه قضاياهم الإسلامية الجوهرية وفي مقدمتها القدس الشريف وفلسطين المغتصبة، هذا النموذج يتمثل في تلك المرأة الهندية التي تدعى (أنديرا غاندي) التي حققت لأمتها ما كانت تتطلع إليه من أمجاد وبطولات، قال الإمام الغزالي في هذا الصدد " لقد أجرت انديرا انتخابات لترى أيختارها قومها للحكم أم لا؟ وسقطت في الانتخابات التي أجرتها بنفسها !ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه ! أما المسلمون فكأنهم متخصصون في تزوير الانتخابات للفوز

---

[1] الغزالي، محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه ..وأهل الحديث، المرجع السابق، ص59.

[2] جاء في تاريخ الإسلام (ت بشار) في ترجمة أبي بَكْرة الثقفي اسمه نُفَيع بن الحارث بن كَلَدَة بن عمرو. وقيل: نفيع بن مسروح. وقيل: كَانَ عَبْدًا للحارث فاستلحقه، وَهُوَ أخو زياد بن أبيه لأمه، واسمها سُمَيَّة مولاة الحارث بن كَلَدَة، وقد كَانَ تدلى يَوْم الطائف من الحصن ببكرة، وأتى إِلَى بَيْنَ يدي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلم، وكُني يومئذ بأبي بكْرة. وله أحاديث.رَوَى عَنْهُ: عَبْد الرَّحْمَن، وعَبْد العزيز، ومسلم، ورواد، وعبيد اللَّهِ، وكبشة أولاده، والأحنف بن قيس، وأَبُو عُثْمَان النَّهدي، وربعي بن حراش، والحسن، وابن سيرين.وسكن الْبَصْرَة، فعن الْحَسَن قَالَ: لَمْ ينزل الْبَصْرَة أفضل مِنْهُ ومن عِمران بن حُصَيْن.وَكَانَ أَبُو بَكْرة ممن شهد عَلَى المغيرة، فحده عُمَر لعدم تكميل أربعة شهداء، وأبطل شهادته، ثم قال له: تب لتقبل شهادتك، فَقَالَ: لَا أشهد بَيْنَ اثنين أبدًا. وَكَانَ أَبُو بَكْرة كثير العبادة. وَكَانَ أولاده رؤساء البصرة شرفا ومالا وعلما وولاية...قَالَ خَلِيفَة: تُوُفِّيَ سَنَة اثنتين وخمسين، وَقَالَ غيره: سَنَة إحدى وخمسين". الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 2003 م .ج2، ص554، 555. متاح في المكتبة الشاملة. وتنظر أيضا ترجمة أبي بكرة في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م، ج4، ص1531. متاح في المكتبة الشاملة.www.shamela.ws.

[3]لتفصيل أكثر، ينظر، المرنيسي فاطمة، الحريم السياسي النبي والنساء، ، ترجمة، عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، 1993م، من ص65،وإلى غاية ص81.

بالحكم ومغانمه برغم أنوف الجماهير"[1](الغزالي 1410هـ/1990م) ليتساءل الغزالي في كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث تساؤلات جوهرية انطلاقا من سنن الله الكونية التي لا تحابي أحدا لكونه مسلما أو كافرا، قال رحمه الله مبينا ذلك بعد تقديمه لتلك النماذج التي وقفنا عليها آنفا"أي الفريقين أولى برعاية الله وتأييده والاستخلاف في أرضه؟ ولماذا لا نذكر قول ابن تيمية: إن الله قد ينصر الدولة الكافرة ـ بعدلها ـ على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم؟ ما دخل الذكورة والأنوثة هنا؟ امرأة ذات دين خير من ذي لحية كفور !! "[2](الغزالي 1410هـ/1990م).

إن عدم التعمق في دراسة النص القرآني واحلال العقل محله الأسمى الذي خصه به الكتاب العزيز في عملية التدبر والتبصر هي التي جنت على أمة الإسلام ما جنت، لأجل ذلك جاءت الدعوات الإصلاحية للمفكرين، لإعادة قراءة موضوع تحرير المرأة في الإسلام على ضوء هدي الكتاب المجيد، لقد جاءت نصوص القرآن الكريم تؤكد أن من أراد الحق المبين فلا مناص من التماسه بين الصحف المطهرة للقرآن الكريم قال تعالى [تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ][3] وتحت ظلال هذه الآية الكريمة عاش الشهيد سيد قطب أحلى اللحظات في رحابها وهو يتنسم نفحاتها المباركة قائلا: " إن أي كلام لن يبلغ كلام الله في القرآن. وإن أي إبداع لن يبلغ إبداع الله في الكون. وإن أية حقيقة لن تبلغ حقيقة الله في الثبوت والوضوح واليقين. "[4] (سيد قطب 1406هـ/1986م)، وفي هذا الإطار حاول الباحث المعاصر المثير للجدل (محمد شحرور2011م) تقديم نموذج للفقه الجديد في دراسة موضوع المرأة في الإسلام قائلا:

---

[1] السنة النبوية بين أهل الفقه ..وأهل الحديث، المرجع السابق، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] [الجاثية:6].

[4] قطب، سيد، في ظلال القرآن،طبعة خاصة لدار العلم للطباعة والنشر بجدة للتوزيع بالمملكة العربية السعودية، بالاتفاق مع دار الشروق للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية عشرة، 1406هـ/ 1986م، م5، ج25، ص3224.

"الظن بأن ما حصل أثناء حياة النبي في حق المرأة هو كامل تحريرها أي أن تحرير المرأة بدأ منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانتهى بوفاته. فإذا لم تعمل المرأة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قاضية أو لم تستلم منصبا سياسيا فهذا يعني أنه ممنوع عليها ذلك، علما بأن وضع تحرير المرأة في الإسلام كوضع الرق تماما فالإسلام في أمور كهذه لا يسمح بقفزات فجائية "حرق مراحل" لأنها تؤدي إلى تدمير المجتمع، ولكنه وضع لها أسسا في الكتاب لكي تحل هذه الأمور مع سياق الزم التاريخي. وقد كان الرق أوضح مثال على ذلك. فالعلاقات الإنتاجية كانت تقوم على الرق حيث كانت اليد المنتجة هي الرقيق وهي وسيلة الإنتاج. وقد وضع الإسلام أسس التحرير وبدأ بداية موضوعية حسب ما تسمح به الظروف دون أن يدمر العلاقات الإنتاجية، وقد برهن القرن التاسع عشر على صدق هذه الأطروحة. فقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم عام 632م، وأصدر الرئيس الأمريكي لنكولن قرارا بإلغاء الرق في أمريكا عام 1860 أي بعد 1228 سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك فقد أدى هذا القرار إلى حرب أهلية دمرت أمريكا وكادت أن تقسمها إلى عدة دول."[1].

ومحتوى فكرة شحرور ومضمونها الجوهري هو حسب علمي قد سبقه إليها الشهيد (محمود محمد طه 2012م) وهذا في الرسالة الأولى ضمن كتابه المطبوع مؤخرا تحت عنوان (نحو مشروع مستقبلي للإسلام) وهذا في المطلب المعنون بـ " عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلا في الإسلام " فبعد إيراده وتحليله لمجموعة من النصوص القرآنية التي توضح المساواة التامة بين الرجال والنساء يقول بعد ذلك " ومن هنا لم يكن المجتمع مستعدا ، ولا كانت المرأة مستعدة ، ليشرع الإسلام لحقوقها في مستوى ما يريد بها من الخير وكان لابد من فترة انتقال أيضا يتطور في أثنائها الرجال والنساء أفرادا ، ويتطور المجتمع أيضا ، وهكذا جاء التشريع ... والحق أن في هذا التشريع قفزة بالمرأة كبيرة بالمقارنة إلى حظها

[1] شحرور، محمد الكتاب والقرآن قراءة معاصرة :. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة 2011م . ص: 593 ، 594 .

سابقا ، ولكنه مع ذلك دون مراد الدين بها "[1]، ومن فلسفة محمود محمد طه ونظرته العميقة لروح وجوهر الرسالة الإسلامية نجد أن تلك المبادئ التي استشهد من أجلها، قد بدأت تتجسد في بعض الدساتير العربية، ونخص بالذكر الدستور الجزائري لعام 2016 حيث نجد في الفصل الرابع المخصص للحقوق والواجبات نص المادة [32] التي تقول" كل المواطنين سواسية أمام القانون، ولايمكن أن يتذرّع بأيّ تمييز يعود سببه إلى المولد، أو العرق، أو الجنس، أو الرأي، أو أيّ شرط أو ظرف آخر ، شخصي أو اجتماعي."، ثم المادة [34] ونصها كالتالي" *تستهدف المؤسسات ضمان مساواة كل المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات بإزالة العقبات التي تعوق تفتح شخصية الإنسان، وتحول دون مشاركة الجميع الفعلية في الحياة السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية، والثقافية."* ، ثم جاءت المادة [35] " تعمل الدولة على ترقية الحقوق السياسية للمرأة بتوسيع حظوظ تمثيلها في المجالس المنتخبة."،وقد تم إضافة هذه المادة بمقتضى التعديل الدستوري لعام 2008 . ثم نص المادة [36]" *تعمل الدولة على ترقية التناصف بين الرجال والنساء في سوق التشغيل، تشجع الدولة ترقية المرأة في مناصب المسؤولية في الهيئات والإدارات العمومية وعلى مستوى المؤسسات"* واستجابة لتطلعات المجتمع الدولي لإزالة كل مظاهر التمييز العنصري، فقد انضمت الجزائر مع التحفظ إلى اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لسنة 1979 بموجب المرسوم الرئاسي 96 ـ 51 المؤرخ في 22 مايو 1996 والمنشور في الجريدة الرسمية عدد 6 بتاريخ 24 يناير 1996، وصادقت على اتفاقية الحقوق الحقوق السياسية للمرأة المعتمدة في 20 ديسمبر 1952 وهذا بموجب المرسوم الرئاسي 04 ـ 126 بتاريخ 19 أبريل 2004، الجريدة الرسمية عدد 26 بتاريخ 25 أبريل 2004"[2] . وقبل ذلك كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي جسّد تلك التطلعات العالمية لحقوق الإنسان

---

[1] طه محمود محمد، نحو مشروع مستقبلي للإسلام (ثلاثة من الأعمال الأساسية) :. رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2012، ص: 200 ، 201 مع بعض الاختصار .

[2]دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنة 2016، جمع ومقارنة وتعليق، أ.د/ عمار بوضياف، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر،الطبعة الأولى1437هـ/ 2016م، مع بعض التصرف البسيط، ص66، 67.

قائلا في المادة 1" *يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء*"[1]، وفي المادة 21 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في فقرته الثانية جاء النص التالي الذي يكرس حق تقلد الوظائف العامة للجنسين في *الدولة " لكل شخص، بالتساوي مع الآخرين، حق تقلد الوظائف العامة في بلده*"[2].. ثم جاء العهدان الدوليان ليزيدا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قوة وإلزامية للدول التي تتعهد به وبمواده ويمكن أن نقرأ على سبيل المثال المادة الثالثة منه التي تقول" *تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بضمان مساواة الذكور والإناث في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنصوص عليها في هذا العهد*" [3]، وبهذه الخطوات القوية والجريئة من المجتمع الدولي المؤمن بقيم الحق والعدل "انتقل إعلان حقوق الإنسان من العموم إلى الخصوص، أي من مجرد مبادئ قانونية إنسانية عامة إلى مواد قانونية محددة" [4](كنعان أحمد محمد 1429هـ). وبالرجوع إلى مختلف الصكوك والمواثيق الدولية سيلاحظ القارئ مدى العناية التي بدأت توليها لحقوق المرأة ، بعد أن كانت خاضعة لتقلبات الأمزجة والأهواء والعادات والتقاليد البالية، المنافية للقوانين الطبيعية ومبادئ الشرائع السماوية ومقاصد القرآن الكريم، هذه الأخيرة التي لو تمسكت بها المجتمعات الإنسانية اليوم لسعدت في حياتها وهو ما بدأت تدركه العقول المستنيرة بهدي كتاب ربها وصحيح سنة نبيها عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

[1] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 217 ألف (د-3) المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1948 . مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا. ، http://hrlibrary.umn.edu**تاريخ الزيارة، 2017/09/25، الساعة 22:50.**

[2] المرجع نفسه.

[3] العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2200 ألف (د-21) المؤرخ في 16 كانون الأول/ديسمبر 1966، تاريخ بدء النفاذ: 3 كانون الثاني/يناير 1976، وفقا للمادة 27 مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا. ، http://hrlibrary.umn.edu**تاريخ الزيارة، 2017/09/25، الساعة 23:08.**

[4] كنعان، أحمد محمد، قراءة في تاريخ الوجود من الانفطار الأول إلى النفخة الأخيرة، ، تقديم، د/ خالص جلبي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ص332

والحق يقال إنه على الرغم من سيطرة الاتجاه السلفي الحرفي المستبعد للتأويل النصي على حسب الظروف والمقاصد والأغراض والسياقات إلا أننا لا نعدم بعض الاتجاهات العلمية التنويرية، منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حاولت أن تقدّم الصورة المشرقة للإسلام، وتكنس تلك الآراء التي تجاوزها الزمن بحكم نمو الوعي الإسلامي المستنير والإيمان بقدسية العقل الذي يجعل النص القرآني هو الفيصل والحكم في كل القضايا الشائكة أو تلك التي يدور حولها الجدل ، ومن هذه الرؤى العلمية الكبيرة والجريئة والتي حاولت أن تعيد مجد الاتجاه العقلي في تفسير النصوص رؤية واجتهاد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده طيّب الله ثراه، فنراه يقول مثلا عن ظاهرتي الانتقاب والتبرقع " والحق أن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ولا للأدب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده، ويدلنا على ذلك أن هذه العادة ليست معروفة في كثير من البلاد الإسلامية وأنها لم تزل معروفة عند أغلب الأمم الشرقية التي لم تتدين بدين الإسلام"[1](نصر حامد أبو زيد 2014م). . ويقدم نصر حامد أبو زيد رؤية الإمام محمد عبده في مفهوم الحجاب الذي لا يعني كما هو شائع عند جل المتدينين والفقهاء بأنه قطع القماش التي تستر بها المرأة جسدها وإنما عدم الاختلاط بالرجال ، حيث يرى محمد عبده أن " أمر الحجاب (بمعنى الاحتجاب عن الاختلاط بالرجال) أمر خاص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم دون عامة الناس. ويؤكد الإمام ـ خلافا للمعاصرين ـ عدم جواز الحجاب لغير نساء النبي ولو من باب التأسي والاستحباب"[2] (نصر حامد أبو زيد 2014م).

من هنا يمكن أن ندرك أن نضال المرأة من أجل تحصيل حقوقها مرتبط بالوعي العقلاني لنصوص الكتاب والسنة ، وفهم السياق الزمني ، فكلما انتشرت العقلانية ، كلما ازدادت مساحة الرأي وقبول .مختلف الآراء ، وانحسرت بالتالي موجة التعصب والتطرف في شتى المجالات.

---

[1] الأعمال الكاملة ، م2، ص113 نقلا عن أبي زيد نصر حامد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى 2014م، ص240.

[2]أبو زيد نصر حامد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى 2014م، ص240.

نماذج من الشخصيات السياسية النسوية بين القديم والحديث:

وهناك نماذج من الشخصيات السياسية النسوية بين القديم والحديث، برزن في المجالات السياسية ، من بينهن على سبيل المثال السيدة بلقيس ملكة سبأ:

وهي المرأة التي اشتهر ذكرها في كتاب الله تعالى، في سورة النمل، وقصتها مشهورة معروفة مبسوطة في كتب التفسير، وقد امتازت برجاحة عقلها وحسن تدبيرها وسياستها وقوة رأيها وروعة وحكمة تدبيرها لمملكتها المترامية الأطراف، وامتازت بعدلها وانصافها **[قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)]**[النمل: 29 – 31] . ومعنى الآيات كما جاء في صفوة التفاسير "أي قالت لأشراف قومها إنه أتاني كتاب عظيم جليل **[إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّه الرحمن الرحيم]** أي إن هذا الكتاب مرسل من سليمان ثم فتحته فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم وهو استفتاح شريفٌ بارع فيه إعلان الربوبية لله ثم الدعوة إلى توحيد الله والانقياد لأمره [**أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**]أي لا تتكبروا عليَّ كما يفعل الملوك وجيئوني مؤمنين قال ابن عباس: أي موحدين، وقال سفيان: طائعين"[1] . كما امتازت بديمقراطيتها العالية والتي سجلها القرآن الكريم حينما جاءها كتاب سليمان عليه السلام **[قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)]**[النمل: 32 – 35]. جاء عند المراغي في تفسير الآية (35) من سورة النمل قوله " وبعد أن أبانت ما فى الحرب والمجالدة من الخطر أتبعته بما عزمت عليه من المسالمة بقولها: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟) أي وإنى سأرسل إليه هدية من نفائس الأموال لأتعرف حاله وأختبر أمره، أنبى هو أم ملك؟ فإن كان نبيا لم يقبلها ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه، وإن كان ملكا قبل الهدية وانصرف

[1] الصابوني، محمد علي صفوة التفاسير، ، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، م2، ص408.

إلى حين، فإن الهدايا مما تورث المودة، وتذهب العداوة، وفى الحديث: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء» ولقد أحسن من قال:

هدايا الناس بعضهـــم لبعض ... تولّد فى قلوبهـــم الوصـــالا

وتزرع فى الضمير هوى وودّا ... وتكسبهم إذا حضروا جمالا[1]

قال الأستاذ عبد الله عفيفي في التعليق على سياسة بلقيس الحكيمة اتجاه دعوة سليمان عليه السلام " حتى إذا استبانت بلقيس وضح الهدى من سليمان تبدّلت بدين آبائها دينَ الله وكان ذلك سبيلا إلى طمس آية المجوسية بين أرجاء اليمن، تلك آيات من الذكر الحكيم قامت بفضل المرأة، ورجاحة عقلها، وسماحة رأيها، وإن قوة الشوكة وعزة الملك لم تصرفاها عن ابتغاء الحق أيًّا كان سبيله، ومن أي كان مفيضه"[2] (عبد الله عفيفي 1350هـ/ 1932م)، وما أجدر ساسة اليوم أن ينهلوا من حكمة هذه المرأة العالية الهمّة، فيعلموا أن أساس الملك هو العدل والإنصاف وأن السياسة فن وأخلاق وحكمة وبعد نظر وشورى وروية وأنها ليست باستبداد وظلم وطغيان، وعلوٍّ في الأرض وفساد واستكبار على بني الإنسان.

ومنهن السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه

تاريخ السيدة زينب حفيدة المصطفى الكريم كله بطولة وفداء ونشر للوعي الإسلامي الصحيح ودحض لأباطيل المبطلين، ونسف لأطروحات المتعصبين المحرفين لمنهج الرسول القائد الخالد، وهذه السيدة هي بنت الإمام علي – كرم الله وجهه – بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي فهي شقيقة الحسنين رضي الله عنهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتي نبي هذه الأمة، وهي زوجة ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذو الجناحين ابن أبي طالب وقد ولدت له علياً وعوناً ويدعى بالأكبر وعباساً، ومحمداً وأم كلثوم· ومن مواقفها البطولية حضورها مع أخيها الحسين بكربلاء·كما تذكر ذلك الأدبية

[1] المراغي أحمد مصطفى ، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، (دون تاريخ)، ج19، ص 138.

[2] عفيفي عبد الله، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1350هـ/ 1932م، ج1، ص36.

الفاضلة السيدة زينب بنت يوسف فواز العاملي[1] السورية مولدا وموطنا المصرية منشأ ومسكنا، ذكر ابن الأنباري: أنها لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها:

ماذا تقولون إن قـــال النبي لـــكم ماذا فعلتم وأنتم آخـــــر الأمـــم

بعترتي وبأهلي بعـــد فرقتـــكم منهم أسارى ومنهم خضبـــوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[2].

وقد لقنت هذه السيدة الفاضلة سليلة بيت النبوة الطاهر الطاغية ابن زياد – لعنه الله وأسياده ومن هم على شاكلتهم على مرّ العصور دروسا بليغة مؤثّرة تهزّ القلوب هزّا، أحرى أن تسجّل بماء الذهب في البطولة والفداء وتقديم النفس والنفيس لأجل إبقاء صوت الحق عاليا مجلجلا ومدويا يقرع الآذان، ويزلزل أقدام الطغاة الجبابرة الذين يحكمون بالباطل وينتهبون أموال الأمة ويعيثون في الأرض فسادا، ولعمري ما قدمته هذه المرأة الكريمة الفاضلة حريّ أن يستلهمه الوعاظ ويسير على نهجه من يريد لحكمه الرشاد والاستمرار.

ومنهن السيدة صبيحة (ت398هـ):

هذه السيدة السياسية والحكيمة في تاريخ الأندلس قامت بأدوار كبيرة في توطيد الحكم لابنها الصغير هشام بن الحكم ، بعد وفاة زوجها الحكم المستنصر وهذا بمؤازرة رجل الدولة الكبير محمد بن أبي عامر الذي وطّد أركان

---

[1] جاء في ترجمتها: "زينب فواز (1276 - 1332 هـ = 1860 - 1914 م)زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي: أديبة، مؤرخة، من شهيرات الكاتبات. ولدت في (تبنين) من قرى جبل عامل، ببلاد الشام. وتعلمت بالإسكندرية، وتتلمذت فيها للشاعر حسن حسني الطويراني (وكان يصدر جريدة النيل) وكتبت واشتهرت. وانتقلت إلى القاهرة. وزارت دمشق، فتزوجت بأديب نظمي الدمشقي. وافترقا بعد قليل، فعادت إلى القاهرة. وتوفيت بها. لها (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور - ط) مجلد كبير، من أفضل ما صنف في بابه، و (الرسائل الزينبية - ط) مجموع من مقالاتها، و (مدارك الكمال في تراجم الرجال) و (الجوهر النضيد في مآثر الملك الحميد) و (ديوان شعر) جمعت فيه منظومات لها، وثلاث (روايات) أدبية، هي (حسن العواقب - ط) و (الهوى و الوفاء - ط) و (الملك قورش - ط) . . . نقلا عن : الأعلام، خير الدين الزركلي (ت1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ج3، ص67.

[2] فوازالعاملي زينب بنت يوسف ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، (دون تاريخ)، ص233.

دولتها وقضى على خصومها المناوئين لها، وكانت هي صاحبة السلطة الفعلية والكلمة النافذة في ربوع المملكة وقد انتعشت الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية في عهدها[1] (سمير سرحان 2004م). ومن سيرتها الحافلة بالعطاء المتجدد والإنجازات الكبيرة تخرج لنا حجة داحضة لمزاعم أولئك الذين يستصغرون أو يحتقرون دور المرأة السياسي وقدرتها على إدارة دفّة الحكم بكل مهارة وجرأة واقتدار.

وقائمة نضالات المرأة المسلمة في الحقل السياسي متعددة، ولكن إبراز ذلك للأجيال الصاعدة يحتاج لجهود كل من يؤمن بقيمة واهمية المرأة ودورها الإيجابي في نهضة الأمة وازدهارها.

كيف نزيل عقبات تحقيق حقوق المرأة السياسية كما نطقت بذلك آيات الذكر الحكيم؟

لتحقيق التفعيل الناجع والفعال للبرامج الساعية لتحقيق حقوق المرأة السياسية صار لزاما اتباع منهجية محكمة ورصينة تقوم على الأسس التالية:

- العمل على إزالة التعصب الأعمى ونظرته الدونية للمرأة ومشاركتها في الحقل السياسي، ولا يكون ذلك إلا عن طريق نشر الوعي الصحيح بالوسائل التعليمية والمناهج التربوية المؤثرة والفعالة، على غرار برامج النهوض بالوعي، والعناية بالجوانب النسائية في المواد المدرسية, وضرورة الالتزام الشخصي من المدرسين والقائمين على العملية التربوية بنشر مبدأ المساواة بين الجنسين في ممارسة الحقوق السياسية. ولا يتأتى هذا إلا بانتهاج خطة تعليمية محكمة تجعل نصب عينيها تزويد المرأة بالوعي وثقافة حقوق الإنسان. ومن أمثلة ذلك " مدرسة حملة المرأة" في جامعة بيل التي تتهتم بإعادة الكوادر من الطاقات النسوية الأمريكية والمترشحات والمنشطات للحملات الانتخابية[2] (سمير سرحان 2004م). كما أنه ينبغي وفقا لما قاله جابر عصفور نبذ النزعة الماضوية والتي " هي الخاصية الأساسية للوعي الذي ينغلق على ماضيه، ويحيله

[1] ينظر، المرأة عبر العصور، إشراف، د/ سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2004 ، م5، ص216، 217.

[2] ينظر، المرجع نفسه، م3، ص 11 وما بعدها.

ـ جزئيا، أو كليا ـ إلى إطار مرجعي أوحد للحكم أو القيمة في السلوك والأفعال"[1] (أ.د/ جابر عصفور2008م).

- إحياء ونشر النماذج النسائية القيادية في الأمة العربية بين جاهليتها وإسلامها، والتأكيد على أن غياب المرأة عن مشاركتها السياسية وتبوّء المراكز العليا والسامية بجدارتها واستحقاقها، إنما كان في فترة الضعف والانحطاط، وهيمنة الثقافة الذكورية، في مختلف الخطابات لاسيما الخطاب الديني الذي أنشأه بعض رجال الدين على هامش النصوص القطعية مع تأويلها وفق الأيديولوجيات المهيمنة أو الثقافات والأعراف البالية المهيمنة أو الرغبات السلطوية المسيطرة.

- على الرغم من كوننا نعيش في القرن الواحد والعشرين عصر غزو الفضاء والتكنولوجيا المتطورة وعالم الاتصالات والرقمنة الرهيبة والتطور العلمي الكبير في شتى المجالات، إلا أن الخطاب الديني عندنا والثقافة الشعبية أيضا لا زالا يكرّسان النظرة الدونية والإقصائية بترديدهم للمقولات البالية العتيقة التي كانت نتاجا لأطر فكرية وبيئات اجتماعية ضيقة منغلقة، فلا زال هناك من يردد عورة المرأة الحرة والمملوكة. ومن لا زال يتحدث عن الحرب الهجومية في الإسلام، والأحاديث الظنية يجعلها في مراتب القطعية ويساويها بكتاب الله تعالى، ويبني عليها أحكاما خطيرة تخص الإيمان والكفر والولاء والبراء والحكم بالزندقة .. وهذا كله مما يوسّع من دائرة التطرف الديني ويعود بالوبال على المسلمين ويشوّه صورة الإسلام الصحيح عند الآخرين.

- ضرورة تنقية العقلية العربية والإسلامية مما علق وتلبس بها من أوهام وخرافات وأساطير تراكمت عبر عصور التخلف والتدهور والانحدار ، ذلك لأن العقلية العربية في عموميتها مع بعض الاستثناءات طبعا هي على حسب عاشور عياض " عقلية تقليدية؛ لأنها تغيب إرادة الإنسان وعقله وحضوره في التاريخ"[2]

---

[1] عصفور جابر، نقد ثقافة التخلف، المرجع السابق، ص 123.

[2] فخري محمود مديحة ، العقلية العربية في زمن العولمة(مشكلات وقضايا)، ، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016م، ص45.

(مديحة فخري محمود 2016م)، ومن المؤكد حسب بعض الباحثين وهو ينسحب على وضعية المرأة " أن التاريخ الثقافي العربي السائد ما هو إلا اجترار وتكرار وإعادة إنتاج بشكل رديء لنفس التاريخ الثقافي الذي كتبه الأجداد تحت ضغط صراعات العصور .."[1] (مديحة فخري محمود 2016م). من هنا صار لزاما القيام بثورة ثقافية جذرية تعيد للعقل قداسته وللمناهج العلمية الموضوعية مكانتها ولحرية البحث العلمي الحر والنزيه وضعيته الرفيعة والمتميزة اللائقة به، ولا يتأتّى ذلك إلا إذا بدأ المثقفون هذه الثورة العلمية الثقافية من أنفسهم ومن يشرفون عليهم من الطلبة والمتلقين، لتتوسع الدائرة بعد ذلك عبر مختلف المراكز العلمية والثقافية والوسائط الرقمية المعاصرة، مع استمالة أهل السلطان والشوكة نحو هذا الفكر العقلاني المستنير ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

- ضرورة عدم المبالغة في وضع التحفظات على اتفاقية حقوق المرأة تحت مبرر مصادمتها للشريعة الإسلامية، وهذا كلام فيه من المغالطات الشيء الكثير، لأن هذه المبررات غير محددة وتتسم بالضبابية والعمومية لأنها تعكس فقط آراء فقهية اجتهادية مذهبية وفق ظروف بيئية واجتماعية معينة، وبالتالي فلا ينبغي إلغاء القراءات الأخرى الممكنة، من هنا يرى بعض الباحثين عدم صواب تلك التحفظات التي أبدتها المملكة العربية السعودية على أحكام اتفاقية المرأة واتفاقية حقوق الطفل واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري[2].

- ضرورة التأكيد على الاهتمام بما قامت به منظمة الأمم المتحدة من جهود جبّارة في إطار الاهتمام بالمرأة وحقوقها وحمايتها من كل أشكال الظلم والتعسّف والتمييز، من هنا فإن نشر الوعي القانوني بحقوق المرأة أصبح ضروريا أكثر من أي وقت مضى بغية المساهمة في نشأة جيل تسوده روح

---

[1] المرجع نفسه، ص45، 46.

[2] ينظر، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق قراءة جديدة)، تنسيق علمي وإشراف، نادية محمود مصطفى، محمود شوقي عبد العال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/ 2011م، ج2، ص802، 803.

التعاون والانسجام بين الجنسين، وفي هذا الإطار القانوني، كما يقول د/ محمد سعيد مجذوب، أصدرت المنظمة الأممية مجموعة من الوثائق الدولية وهي " ـ اتفاقية الحقوق السياسية للمرأة 1952. ـ إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة. ــ اتفاقية بشأن حماية حقوق النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات الدولية 1974. ـ اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة 1979."[1](محمد سعيد مجذوب 2014م).ولا تزال المرأة مستمرة في نضالها عبر كافة القارات مؤكدة لإنسانيتها وحقوقها المشروعة، وما ضاع حق وراءه طالب.

الخاتمـــــة

لقد تباينت وضعية المرأة وحقوقها السياسية عبر مختلف الحضارات التي تعاقبت على سطح الكوكب الأرض بين وضع سيّء وأسوأ ووضع جيّد وأجود، وذلك تبعا لوضعية العادات والتقاليد وسطوة تحكم الدين ورجاله في العقليات والذهنيات، وتبعا أيضا لتوجهات السلطات السياسية ومدى انفتاحها أو انغلاقها اتجاه مختلف قضايا المرأة، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر والتي نبّه عليها بعض أعلام ومفكري العصر الراهن أن الإسلام بدأ ثورته اتجاه الأفكار البالية والمتخلفة اتجاه تحرير المرأة من مختلف الضغوط والإكراهات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت سائدة ومكرّسة على أكثر من صعيد، ولكنها لم تنته بوفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وإنما هي مستمرة باستمرار نمو الوعي بالحقوق والحريات ومستمرة باستمرار تطور المجتمعات الحضاري وانفتاحها على مختلف التجارب الإنسانية، وهذا ما يستدعي ضرورة تحريك وتنشيط آلية الاجتهاد لمواكبة التطورات الحضارية والتغيّرات الاجتماعية التي مسّت الأمم المعاصرة، والتي تتطلب أجوبة أكثر موضوعية وأكثر نجاعة واستجابة لمبادئ العدل والمساواة التي أقرتها مختلف المواثيق الدولية، والتي تتناغم مع الرسالة

[1] سعيد مجذوب محمد، النظرية العامة لحقوق الإنسان (تطور الحقوق والحريات العامة والآليات القانونية لحمايتها)، . المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى 2014، ص224.

القرآنية الخالدة وإن كانت في بعض جوانبها لا تتناغم مع المنظومة الفقهية والتراثية الدينية وهذا أمر طبيعي، لأن تلك المنظومة الفقهية والتراثية إنما تمثل استجابة لوضعيات معينة عايشها المسلمون في سياقات حضارية بيننا وبينها بون شاسع زمانيا ومكانيا وحضاريا، وتمثل اجتهادات بشرية أنجزت على هامش النصوص لاسيما تلك التي تحتمل الظنية كمعظم الأحاديث النبوية وتحتمل بالتالي مجموعة من القراءات الممكنة والمنفتحة، ومن ثمّ فهي قابلة لقراءات جديدة ضمن أطر معرفية معاصرة تستفيد من التراث دون أن تقع فريسة لأقوال ومذاهب مثّلت رؤى وأفكارا لعلماء حاولوا الاجتهاد والإجابة عن مشاكل عصرهم. وعلى الرغم من التشريعات القرآنية الحكيمة والقويمة، إلاّ أنّ المرأة المسلمة إلى اليوم وللأسف ومن باب التقليد الأعمى لنظيرتها الغربية راضية بأن تزيل شخصيتها تماما وتضيفها إلى الزوج حيث تحبّذ أن تنادى بلقب زوجها، ولسنا ندري إذا انقطعت هذه العلاقة الزوجية لسبب ما هل تبقى تحمل هذا اللقب أم تعود إلى سيرتها الأولى ولقب عائلتها الأصلية ؟ !

إنّ المرأة نفسها إذا كانت واعية ومدركة لحقوقها وإنسانيتها التي وضعها القانون الطبيعي وكرستها شرائع السماء ووطدتها المواثيق والعهود الدولية هي لا غير من يجعلها جديرة بعمارة الأرض والحفاظ على مكتسباتها ومساوية تماما للرجل في تولّي كافة المسؤوليات وفق المؤهلات المنوطة بكل وظيفة تؤدّيها.

قائمة المراجع

ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري (ت 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، طبعة 1390 هـ ، 1970 م.

أبو زيد نصر حامد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى 2014م.

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م.

أبي زيد نصر حامد، دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، ، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، الطبعة الأولى 2014م.

البنا جمال المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، ، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

جابر عصفور، نقد ثقافة التخلف، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2008م.

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ)، المحاسن والأضداد.(ضمن المجموعة الكاملة)، ، إعداد، قسم الدراسات في دار نوبليس بإشراف الأستاذ، غسّان شديد، دار نوبليس،، بيروت ، الطبعة الأولى 2005م.

حنفي حسن، الأعمال الكاملة المجلد الثاني، من النقل إلى العقل، الجزء الثاني علوم الحديث، (من نقد السند إلى نقد المتن)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة، القاهرة، 2014.

خليل محمود محمد، المسند الجامع، (تحقيق وترتيب وضبط للنصوص): ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م.

خير الدين الزركلي (ت1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 2003 م

ربيع بن هادي المدخلي، كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1990م.

سعيد مجذوب محمد، النظرية العامة لحقوق الإنسان (تطور الحقوق والحريات العامة والآليات القانونية لحمايتها)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى 2014.

سمير سرحان، المرأة عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة. شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2004.

شحرور محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة :. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة 2011م.

الصابوني، محمد علي صفوة التفاسير، ، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.

صبحي محمصاني، دراسات في الشريعة والقانون والعلاقات الدولية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، كانون الثاني (يناير) 1982م.

طه محمود محمد، نحو مشروع مستقبلي للإسلام (ثلاثة من الأعمال الأساسية) :. رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2012.

عفيفي عبد الله، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1350هـ/ 1932م.

الغزالي محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، دار الصديقية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى رجب 1410هـ ـ فبراير 1990م.

الغزالي محمد، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق ، القاهرة . الطبعة الثالثة محرم 1412هـ/ يوليو 1991م.

فخري محمود مديحة، العقلية العربية في زمن العولمة(مشكلات وقضايا)، ، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016م.

فواز العاملي زينب بنت يوسف ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، (دون تاريخ).

القبانجي أحمد، المرأة المفاهيم والحقوق قراءة جديدة لقضايا المرأة في الخطاب الديني، الانتشار العربي،الطبعة الأولى 2009م.

قطب سيد، في ظلال القرآن،طبعة خاصة لدار العلم للطباعة والنشر بجدة للتوزيع بالمملكة العربية السعودية، بالاتفاق مع دار الشروق للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية عشرة، 1406هـ/ 1986م.

كحّالة عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (دون تاريخ).

كنعان أحمد محمد، قراءة في تاريخ الوجود من الانفطار الأول إلى النفخة الأخيرة، تقديم، د/ خالص جلبي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.

مار بوضياف، دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنة 2016، جمع ومقارنة وتعليق، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر،الطبعة الأولى1437هـ/ 2016م.

المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، (دون تاريخ).

المرنيسي فاطمة، الحريم السياسي النبي والنساء، ، ترجمة، عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، 1993م.

نادية محمود مصطفى، محمود شوقي عبد العال، حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق قراءة جديدة)، تنسيق علمي وإشراف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/ 2011م.

الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ)،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م. المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ، تحقيق، بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.

يوسف خالد يوسف المرزوق، "أم سلمة وصلح الحديبية"، جريدة النبأ الكويتية (يومية سياسية شاملة)، رئيس تحريرها: ، تاريخ الإضافة، 2014/07/5، http ://www.alanba.com تاريخ الزيارة الأربعاء 19 من جمادى الآخر 1439هـ/ 2018/03/07 العدد 15120.